مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١: ١–١٤؛ ٢: ١–٣)

أنتَ يا ربُّ في البدءِ
أسَّستَ الأرضَ والسمواتُ
هي صُنعُ يدَيْكَ* وهي
تزولُ وأنتَ تبقى وكلُّها
تَبلى كالثوبِ* وتَطويها
كالرداءِ فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ
وسنوكَ لن تَفنى* ولِمَنْ من
الملائكةِ قالَ قطُّ اجلِسْ عن
يميني حتى أجعلَ أعداءَكَ
موطِئاً لقدَمَيْكَ* أليسوا
جميعُهم أرواحاً خادِمةً
تُرْسَلُ للخدمةِ من أجلِ
الذينَ سيرثونَ الخلاص*
فلذلك يجبُ علينا أن
نُصغيَ إلى ما سمِعناهُ
إصغاءً أشدَّ لئلاَّ يسرَبَ من
أذهانِنا* فإنَّها إن كانتِ
الكلِمةُ التي نُطِقَ بها على
ألسِنةِ ملائكةٍ قد ثبَتت وكلُّ
تعدٍّ ومعصِيَةٍ نالَ جزاءً
عدلاً* فكيفَ نُفلِتُ نحنُ إن
أهمَلنا خلاصاً عظيماً كهذا

حول الإنجيل

نقرأ في الأحد الثاني من الصوم إنجيل المخلّع الذي استحق بسبب إيمانه وإيمان الذين كانوا يحملونه أن ينال الشفاء الكلي، أي شفاء النفس والجسد. فالمسيح جاء ليخلِّص الإنسان من الخطيئة التي هي الموت الروحي وما ينتج عنها من موت جسدي. نحن نعلم ان الإنسان يملك طبيعتين منظورة (الجسد) وغير منظورة (الروح). عندما خالف وصية خالقه دخل الفساد والموت على طبيعتيه المترابطتين ارتباطاً وثيقاً واللتين لا تنفصلان إلاّ عند الموت.

«فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياكَ» (مر ٢:٥). لقد أثار غفران الخطايا الذي هو من مهام الله وحده مسألة هوية يسوع. كما افتكر الكتبة: «مَن يقدِر أن يغفِرَ الخطايا إلاَّ اللهُ وحدَهُ» (مر ٢: ٧). إن مغفرة الخطايا لا تتحقق فعلاً ما لم يَمنح المسامحة من ارتُكبت بحقه الخطايا. فالإنسان يخطئ أولاً إلى الله الذي خلقه والذي وضع له الوصايا ليحفظه. مخالفة الوصايا هي خطيئة بحق مَن وضعها كما يقول النبي داود في مزمور التوبة: «إليك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت» (مز٥٠: ٤). عندما يمارس المؤمن سر الاعتراف، يطلب الكاهن من الله أن يغفر خطايا المعترف: «ربنا وإلهنا يسوع المسيح بنعمة ورأفات محبته للبشر ليصفح لك...». يستطيع الإنسان أن يغفر لأخيه إساءة ما ولكن مغفرة الخطايا والحل منها بشكل عام هما من عمل الله وحده، وإذا كان المسيح يغفر الخطايا فيجب أن يكون إلهاً حقاً، الأمر الذي اعترفت به الشياطين لا بدافع المحبة بل بدافع الخوف: «فصرخ قائلاً: آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري، أتيت لتهلكنا، أنا أعرفك مَن أنت قدوس الله» (مر ١: ٢٤).

لقد أظهر الرب يسوع ألوهيته عبر غفرانه الخطايا وهذا أمر لم يقبله الكتبة. لكن ابن الله، بما انه إله، لم يقتصر عمله على غفران الخطايا بل أظهر قدرة أخرى من خصائص الله هي سلطان كشف أسرار القلب: «فلِلوقت علمَ يسوعُ بروحهِ أنَّهم يفكرون هكذا في أنفسهم فقال لهم لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم» (مر ٢: ٨). الله هو الذي يفحص القلوب

العدد ٢٠٠٩/١١
الأحد ١٥ آذار
الأحد الثاني من الصوم
(أحد القديس غريغوريوس بالاماس)
تذكار القديس الشهيد أغابيوس والسبعة الشهداء الذين معه
اللحن السادس
إنجيل السَحَر السادس

قد نُطِقَ به على لِسانِ الربِّ أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سمِعوه.

الإنجيل

(مرقس ٢: ١-١٢)

في ذلك الزمان دخل يسوعُ كَفَرْناحومَ وسُمع أنَّه في بيتٍ* فللوقت اجتمعَ كثيرون حتى إنَّه لم يعُدْ موضعٌ ولا ما حولَ الباب يَسَعُ وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلَّعٍ يحمِلهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه لسبب الجمع كشفوا السقفَ حيث كان. وبعد ما نَقَبوهُ دلَّوا السريرَ الذي كان المخلَّعُ مضطجعاً عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرون في قلوبِهِمْ ما بالُ هذا يتكلَّمُ هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلاَّ اللهُ وحدَهُ* فللوقت علمَ يسوعُ بروحِه أنَّهم يفكِّرون هكذا في أنفسِهم فقال لهم لماذا تفكِّرون بهذا في قلوبكم*

والكلى: «فإن فاحص القلوب والكُلى الله البارُّ» (مز ٧:٩). معرفة أفكار الإنسان من صفات الرب يسوع وقد بانت عدَّة مرات خلال حياته على الأرض إذ كان يعرف أفكار تلاميذه: «فعَلِم يسوع فكر قلبهم» (لو ٩: ٤٧).

إن مغفرة الخطايا قد لا تكون أمراً منظوراً وبالتالي هناك احتمال أن يشك فيها البعض كما فعل الكتبة، أما شفاء المخلَّع فهو أمر لا يحتمل أي تشكيك. الهدف من الشفاء ليس تباهي الرب بقدرته بل إرشاد الناس إلى الحق: إن الرب يسوع هو ابن الله وهو الذي يخلِّص الإنسان من خطاياه وأمراضه والموت: «تعرفون الحق والحق يحرِّركم» (يو ٨: ٣٢)، ومعرفة الحق هي معرفة الرب يسوع معرفةً شخصية لأنه هو الحق: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦).

ما يميّز الرب يسوع أيضاً هو السلطان الذي يملكه. كان يعلّم ويشفي ويطرد الأرواح ويحقق العجائب ويهدئ البحر ويسن الشرائع من ذاته دون الرجوع إلى أحد. نحن نعلم ان القديسين يحققون العجائب ولكن بنعمة الله وبعد صلوات وتضرعات، أما الرب يسوع فلكونه الله بذاته كان يعمل ويتكلّم بسلطانه الذاتي: «سمعتم انه قيل... وأما أنا فأقول لكم...» (متى ٥: ٢١ و٢٢).

لقد اهتم الرب يسوع بالإنسان بكليته لذلك نراه يشفي الروح من أمراضها والجسد من أمراضه على حد سواء. بعد شفاء المخلّع من الشلل الداخلي والخارجي طلب الرب يسوع منه أن يحمل سريره ويذهب إلى بيته لكي يصبح ما كان برهانُ المرض شهادةً للتعافي. فراش الألم أصبح علامة الشفاء وأصبح ثقله مقياساً للقوة التي أُعيدت للمخلَّع.

في هذا الصوم المبارك نسأل الله أن يبارك جهاد كل منا وأن يؤهلنا نحن المخلَّعين بالخطايا أن نحصل على شفاء النفس والجسد بعد ان تعرفنا على الرب يسوع وأدركنا كثرة ضعفاتنا وعظم اقتداره على شفائنا. ان الرب يسوع هو المخلّص الوحيد الذي إذا ما اتجهنا إليه يستطيع أن يُقيمنا من سقطاتنا.

الصلاة القلبية

تشكِّل الصلاة جزءاً أساسياً من حياتنا المسيحية وهي مصدر معرفتنا بالرب يسوع القائم من بين الأموات وخبرتنا معه. الصلاة هي الوسيلة التي نتحادث فيها مع الله ونتعرَّف عليه ونختبره بعدما كنّا نكلّمه وجهاً لوجه في الفردوس قبل السقوط. انها اللغة التي نستعملها للحديث مع الله. إنها الجلوس إلى الله. بالنسبة لكثيرين منا الصلاة محصورة في تلك الدقائق التي نقفها في الكنيسة صباح الأحد ونردّد خلالها بعض التراتيل والصلوات التي حفظناها منذ الطفولية.

بالنسبة للرسول بولس لا يمكن حصر الصلاة في أوقات معيَّنة أو بكلمات محدَّدة. فهو يقول لأهل تسالونيكي: «صلُّوا بلا انقطاع» (١ تسا٥:١٧). ولأهل رومية: «كونوا... مواظبين على الصلاة» (رو ١٢: ١٢)، ويريح تلميذه تيموثاوس بقوله: «كما أذكرك بلا انقطاع في طلباتي ليلاً نهاراً» (٢ تيمو ١:٣). إذاً الصلاة ليست جزءاً أو لحظات من الحياة أو عملاً نقوم به عندما لا

ما الأيسرُ أن يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكن لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا قال للمخلَّع* لك أقول قُمْ واحمِلْ سريرَك واذهب إلى بيتك* فقام للوقتِ وحملَ سريرَهُ وخرجَ أمامَ الجميعِ حتى دهِشَ كلُّهم ومجَّدوا اللهَ قائلين ما رأينا مثلَ هذا قطُّ.

تأمل

قال لهم السيّد: «لكنْ لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر له سلطان على الأرض أن يغفِرَ الخطايا، قال للمخلَّع لك أقول قُمْ واحمِلْ سريرَك واذهَبْ إلى بيتِك»، وكأننا به يقول: لو كنت أقصد أقوالاً فارغة لا نتيجة عملية لها، لكنت فصلت بين غفران الخطايا وإقامة المخلّع. لقد عملت هكذا وبهذه الطريقة حتى تروا ان كلمتي لا تبقى بدون نتيجة. لم ألجأ إلى غفران الخطايا لأني غير قادر على الشفاء الجسدي كما تعتقدون، بل أملك سلطاناً إلهياً على الأرض

يوجد لدينا شيء أهم نقوم به. الصلاة هي حياتنا كلها. قد يسأل الإنسان كيف يمكنه أن يوفّق بين عمله الضاغط ومشاغله وهموم الحياة والصلاة. هذا السؤال يدخلنا في ثنائية كاذبة في حياتنا كمسيحيين. أن نصلّي لا يعني أن نضع الله ونفكر به بالمواجهة مع عائلاتنا وأصدقائنا. أن نصلّي يعني أن نفكر ونحيا كل حياتنا في حضور الله، أي أن يصبح كل عمل نقوم به، حتى ابتسامتنا، تسبحة وصلاة. لذا فإن الصلاة ليست محصورة بكلمات محددة، إنما هي حياة متجسدة. وكما يقول الرسول بولس: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كور١٠: ٣١).

أن تشمل الصلاة كل لحظة من حياتنا أو أن تصبح حياتنا صلاةً فهذا يعني أن يصبح قلبنا وليس ذهننا فقط يلهج بالله. «يا ابني أعطِني قلبَكَ» (أم ٢٣: ٢٦) وليس عقلك. فالقلب بحسب الكتاب المقدَّس والحياة الروحية هو مركز المعرفة والأحاسيس والقرارات (مر ٢: ٥–٦، لو ٢:١٩، لو ٦:٤٥، مر ٧: ٢١). إذاً سعيُ الإنسان أن تصبح صلاته قلبية. الصلاة الحقَّة هي صلاة القلب حيث يلتقي الإنسان بالله من جديد ويهتف مع كاتب المزامير: «جعلت الرب أمامي في كل حين» (مز ١٦: ٨).

التقليد الأرثوذكسي يضع خبراته الروحية بين أيدينا ويقدِّم لنا «صلاة يسوع» (يا رب، يا يسوع المسيح ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ) نموذجاً لمساعدة الإنسان للوصول إلى معاينة مجد الله، معاينة نور مجده غير المخلوق كما عاينه الرسل حين تجلّى الرب على جبل ثابور. إلاّ ان هذه المعاينة والتذوق لمجد الله نُعطاهما كنعمة، إذ لا يستطيع الإنسان بقدرته الذاتية أن يصل إلى هذه الحالة، فهو بحاجة إلى معونة الله الذي يسكب روحه فينا «وهو يشفَعُ فينا بأناتٍ لا يُنطَقُ بها» (رو ٨: ٢٦). صلاة يسوع تساعدنا على اكتساب هذه النعمة لأنها صلاة الر وح القدس بامتياز كوننا نُقرّ بأن يسوع هو الرب ابن الله المخلص و«ليس أحدٌ يقدِرُ أن يقولَ يسوعُ ربٌّ إلاّ بالروحِ القدسِ» (١ كور ١٢: ٣).

صلاة يسوع ببساطتها، مع قصرها ووضوحها هي انعكاس لوصية الرب يسوع أن «لا تُكرِّروا الكلامَ باطِلاً كالأُمَمِ فإنَّهم يظنُّونَ أنَّه بكثرةِ كلامِهم يُستجاب لهم» (متى ٦: ٧). كما أنها متجذرة في الكتاب المقدس حيث قوة الله ومجده حاضران في اسمه. ففي العهد القديم، أن يستدعي الإنسان اسم الله بوعي كامل يعني أن يضع نفسه في حضرة الله. ولا فرق إن استدعى الإنسانُ اسمَ الله أو اسمَ يسوع، فيسوع هو مساوٍ للآب في الجوهر. لا ننسى أن كلمة يسوع تعني الله يخلص. باسم يسوع طُردت الشياطين (لو ١٠:١٧)، واستُجيبت الصلوات (يو ١٤: ١٣–١٤) وشفي المخلَّع (أع ٣: ٦–٧). إنه الإسم الحامل القوى الروحية وهو الإسم «فوق كل اسم» وتجثو «باسم يسوعَ كلُّ رُكبَةٍ مِمَّن في السماءِ ومَن على الأرضِ ومَن تحت الأرض» (في ٢: ٩–١٠). صلاة يسوع هي الخطوة الأولى في رحلتنا الروحية التي تعيدنا إلى حضرة الله ومجده، وذلك بإقرارنا أننا خطأة ومتغرّبين عن الله. في هذه الصلاة نقر بحاجتنا الماسة إلى مخلّص وهو يسوع لكي يعيدنا إلى الحضن الأبوي.

كابنٍ مساوٍ للآب السماوي في الجوهر بالرغم من صيرورتي مساوياً لكم في الجسد أنتم يا ناكري النعمة. لذلك أقول قم احمل سريرك على كتفك واذهب إلى بيتك». أقوال الرب هذه العجائبية مناقضة لتفكير الكتبة لكنها تتّفق مع كلامهم، فهي تبرهن على ما قاله الكتبة ان لا أحد من الناس قادر على غفران الخطايا سوى الله وحده.

لكن الذي ظهر جهلاً من الكتبة هو أنهم اعتقدوا أن المسيح إنسان عادي وليس إلهاً كليّ القدرة، إذ إن هذا الذي لم يسمع به أحد يجري الآن فيظهر الرب إلهاً وإنساناً معاً، ذا طبيعتين وفعلين، يتكلّم كإنسان، ويحقق كل ما شاء بالقول وفعل الأمر كإله. ويظهر عن طريق أعماله أنه هو الذي بدأ كل شيء منذ البدء كما يقول المزمور: «قال فصُنِعَتْ وأمر فخُلِقَتْ» (مز ٣٣:٩). لذلك نجد هنا القول مقروناً بالفعل.

القديس غريغوريوس بالاماس

صلاة يسوع تعيدنا إلى الآب بيسوع المسيح في الروح القدس. عندما نصل إلى درجة الهذيذ باسم يسوع،، مع كل دقة من دقات قلبنا، نكون قد طرحنا عنا كل اهتمام دنيوي، سيء وجيد، ولا يعود مكان في قلوبنا لنوايا الشر وأفكاره بل تصبح مسكناً للروح القدس. وفي وقت لا يعلمه الإنسان مسبقاً يسكب الله نعمته عليه ويغلّفه بمجده، بنوره غير المخلوق، كما ظللت الرسل سحابة منيرة في حين التجلّي. هذه الحالة يتذوقها الإنسان من الآن وهو في الجسد، ولكن لفترات متقطعة حسب مشيئة الله. فقد تكون لبضع لحظات، كما يمكن أن تستمر لبضعة أيام. إذذاك يتحرَّر الإنسان من كل القيود والشهوات الجسدية والنفسية. مَن اختبر فرح الرب ومجده يملآن قلبه يصبح العالم حوله مرآة تعكس حضور الله ومجده، يرى الله في خلال المخلوقات حوله. كما يرى وجه الله في كل إنسان حوله.

نقاوة القلب

أية رياضة، وأية محاولة، وأي جهادٍ، وكم من العرق والتفكير والدرس يحتاج المرء ليحوز على نقاوة القلب وقداسة النفس! لا يكفي أن ندرس حياة المسيح فقط لنحوز على هذه النقاوة بل يجب أن تكون الصلاة شغلنا الشاغل وهذيذنا المتواصل. يجب أن نغتصب هذه النقاوة اغتصاباً لنبقى أنقياء القلوب ونفكر بالأمور النافعة وبالروحيات، وأن نبقى بعيدين عن كل ما هو مجرم فاسد خاطئ. إن حياتنا مزدوجة، جسدية وروحية. ينجذب الجسد بالأمور المنحطة الخاطئة ويثور ضد الروح وفي هذه الحالة يصبح الجسد عدواً للنفس. يحدث صراع للسيطرة، صراع بين الجسد المنجذب إلى تحت وبين النفس الراغبة بالحياة النقية السامية. فالرجال الذين يعيشون وفقاً لمتطلبات الحياة الجسدية يتركون قلوبهم للرغبات التي توسخ النفس وتفسد العقل. أما أولئك الذين ولدوا بالمسيح فيتغذون بأفكار وأحلام سامية تقودهم من الأرض إلى السماء.

ان السلام الذي يتكلم عنه الرسول بولس سنربحه بنقاوة القلب. ان المسيح «هو سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً وحلّ السياج المتوسط» (أف ٢:١٤). لقد صار كل شيء من أجل السلام، والحصول على هذا الخير العظيم يستحق كل درس واهتمام وسينال السلام البولسي أولئك الذين يضعونه فوق كل الخيرات فيطردون الحقد المدمر من نفوسهم، والخطيئة التي تبعد السلام عامة. يقطن السلام في القلوب النقية فقط. السلام هبة عظمى، والله نفسه الذي صار إنساناً لم يجد ما هو أسمى من السلام لذلك أراق دمه ليعطي السلام للإنسان. لم يجد بين المخلوقات البشرية ما يشتري السلام به لذلك اتخذ جسداً ودماً وأراق دمه ليخلق خليقة جديدة نقية سلامية، وصار بذبيحته رئيس السلام.

القديس نقولا كاباسيلاس

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb